الأنفال والسيف والمهرة

د. عبدالرزاق حسين
- الأردن -

صوت أبي نصر يشق بهيم الظلمة وهو يرتل آيات الأنفال. تنزاح العتمة، ويبرق فجر يمضي في ترتيله، ينسكب شعاع ذهبي عبر النافذة الخشبية، يتلظى حد السيف الخارج من غمده، المثبت في مسمار في الجهة القبلية، والمتعامد فوق الرأس الساجد، يترقرق في صفحته سفر النصر، يتهادى تاريخ يعبق بالمجد، وتلوح بيارق.

في ظهر السيف جدار، والمهرة تصهل في الخارج، فيضج صهيل الخيل أحلاماً وآمالاً وسنابل. يطوي أبو نصر المصحف، يتمطى، يقف، يتناول سيفه، يضعه على عاتقه بلا جفن، يتوجه إلى مربط المهرة، يضربها على مؤخرتها بضع ضربات خفيفة بيده، يمسح عرفها، ثم يأخذ رأسها في صدره، تحمحم، يفك الرسن، يضع رجله في الركاب، ثم يعتدل فوق السرج الملتحم بظهر المهرة يعلوها أبداً، لا ينفك استعداداً للغارة واترة أو موتورة يهمزها، فتروح تسابق مربعة حد الخوف، تعبر أفق الماضي ويطول الجري، وعلى مقربة من نهر تحفر بحوافرها المنزلقة في الطين أخدوداً يفصل بين الأنفال وجري المهرة، تحمحم فيجيب النهر صدى، يهمزها لا تتقدم، ينطلق بصوت كالرعد القاصف ياعقبة . . !! فيجيب صداه زبد النهر، وزخات رصاص تستعر وتنحدر من فتحات حصون تشمخ فوق جبال ورؤوس ومناكب.

وصهيل الفانتوم يكسر حد الصوت وحد الجرأة، وتمر الجولة، فالحرب سجال. يهيئ أبو نصر نفسه للنزال، فيمتشق حسامه كمخراق لاعب يصلته بين أذني مهرته، ويضرب خاصرتيها بساقيه، ينطلق مائلاً بجسمه ليمزق صدور الأعداء، وتتراءى له الرؤوس تتساقط متتابعة من خلال عرف

مهرته الذي يطوحه الهواء بعنف.

وتسفر الجولة عن مهرته وقد تسربلت بالطين الذي يقيدها قيد الأوابد ، فيحول بينها وبين المعمعة.

والجولة تتبعها جولة ، والنصر أكيد - بإذن الله - ، فالحق معي والصبر ، يتلاعب بالسيف يميناً وشمالاً وأماماً وإلى الخلف ، تنزلق رصاصة ، تحدث صلصلة ، وتفجر شريان ، تعلو الابتسامة وجه أبي نصر ، وتتمتم شفتاه : « **إن يمسسكم قرح ...** ».

ينقل المعركة إلى الجهة الأخرى ، فالركن الأيسر مازال قوياً ، ولابد من جولة أخيرة ، فممر النصر وطريق الجنة باتجاه اللافتة المنصوبة فوق الجسر المؤدي إلى الأنفال وحد السيف وصهيل المهرة.

كوكبة من عسكر ، تحاصره شاهرة في وجهه فوهات لم تعرف طعم البارود ولذع النار. يعرف أكثرهم -تعلوه الدهشة- طيات ملامحهم وملابسهم تحمل عار الجبن وسفر الذل ، تشهد زوراً وأمام التاريخ وفوق رؤوس الأشهاد بأنهم مازالوا للوطن سياجاً.

يمسك أحدهم بلجام المهرة ، والآخر ينزع مقبض سيفه ، يغرس طرفه تحت الصخر بكعب حذائه يضرب ضربات ، يتماوج ، يبرق حده ، وأمام عيون ترمقه يلقى في النهر.

يرسل صوت ارتطام يعبر أذني أبي نصر الذي يظنه صليلا ، يبتسم وهم يشدون وثاقه بعد إنزاله عن ظهر المهرة ، ويضغطون عظامه لتقترب يده المصابة من السليمة ، تعصب عيناه ، يضرب خلف الجند على غير هدى ، أنفاس المهرة تصحبه ، تبتعد عنه ، تتخلى عنه ، فقرار الأمر يحرمه عبق العرق الناضح من صدر المهرة ، التي تصبح ملكاً من أملاك الدولة. ويساق هو بتهمة حمل السيف ، وعبور الخوف ، وإشعال لظى حرب في الصيف . .

السيف البتار ملقى في قاع النهر ، والمهرة تربط في اصطبل سباق ، وتشيخ الرؤية والعمر في قبو يدعى زنزانة ، يسكنه ذاك المدعو أبونصر ، وبهذا تم الفصل بين الأنفال وحد السيف وصهيل المهرة.

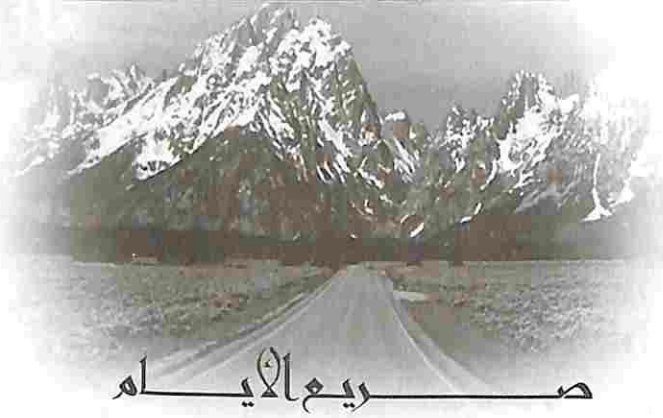

صريع الأيام

صالح بن عبدالله التويجري
- السعودية -

سلمت للأيام فضل عناني
وأطعتها من بعد طول حران
نازلتها حينا فقضت مضجعي
ومنازل الأيام في خسران
كان الشباب يهزني متبطرا
من ذا يناهض صولة الفتيان ؟
هلا كسرت رماحها مستبسلا
حتى يردد ذكرك الثقلان
وتجشمت بي هول كل مخوفة
نفس ترى في الخوف كل هوان
ووقفت للأيام وقفة صادق
في عزمه متماسك الأركان
سددت نحو فؤادها سهمي الذي
ريشته زمنا ، فما أغناني
وأتت علي سهامها فإذا أنا
متجندل في سالف الفرسان